هل الكتاب العربي في خطر؟

جواب الدكتور محمد مهدي البصير

اما ان الصحافة الخفيفة المصوره والاذاعة والسينما تنافس الكتاب العربي منافسة حادة فهذا ما لا شك فيه . ولكن يخيل الي انها لاتشكل خطراً مميتاً على مستقبله كما انها لم تشكل مثل هذا الخطر عل غيره من الكتب الحية . ولكن عليه ان يشعر بالخطر الداهم فيعد للامر عدته ويتجهز بكل ما من شأنه ان يكفل له البقاء من جودة في المادة وجمال في العرض واتقان للدعاية . وعندي ان الكتاب العربي سيعيش الى جانب الصحافة الخفيفة المصورة والاذاعة والسينما ولكنه سينحط استغفر الله بل سيزداد انحطاطاً على مر الايام بسبب مماشاته الاهواء وتملقه الجماهير سعياً وراء الرواج ورغبة في الانتشار .

جواب الاستاذ محمود تيمور

الصحافة الخفيفة المصورة والاذاعة والسينما وغيرها لازمة للجمهور لزوم الكتب ، وكل واحدة منها تؤدي مهمتها التي لا تؤديها زميلاتها ؛ ففي الوقت الحاضر ، نحن في حاجة الى كل هذه العناصر في مجتمعنا الراهن ، وكما انك في حاجة الى غذاء روحي دسم مركز ، فانت اشد ما تكون تلهفاً على مرفه خفيف منوع ؛ فلا يمكن ان تستمر على غريض اللحوم ، بل من المستساغ المقبول ان تأكل اللحم والى جواره الكوامخ « السلطات » والحلوى ، وعصير الفاكهة ؛ لأنك إن اقتصرت على زاد واحد سين ، اصابك عسر الهضم ، وزهادة في هذا اللون من المأكولات .

على انني لا اغفل في هذا الصدد ان لا يطغى لون من هذه الألوان على اختصاص صاحبه .

ورأيي ان كل ناحية إن لزمت برنامجها المرسوم لها في تنسيق واتزان ؛ — فليس هنالك اي خطر في طغيان عنصر على آخر ؛ فلكل لون ميدانه وطرائقه وخططه . فالمدرسة مثلا لاتنافس « السينما » و « السينما » لن تكون سبباً في اغلاق المدارس والتقليل من اهميتها : إذ ان لكل رسالته الخاصة ، واهدافه البينة ، ومناهجه المرسومة .

ولم يقل احد ان ملاعب « السيرك » — ومن اهم خصائصها الترفيه الزائد عن الشعب — كانت من وسائل القضاء على المسرح ، والحط من قيمته.

وليست الإذاعة و « السينما » مقصورتين على الترفيه ، فلا يصح اضافتهما الى صنف الصحافة الخفيفة المصورة ، بل هما جانب ثقافي في ثوب ترفيهي مستساغ يتقبله المرتادون لميدانهما في رضا وارتياح .

والاذاعة و « السينما » والكتاب ، ثلاثتها ، — تعتبر مظهراً مشتركا في حمل رسالة ثقافية ، وقد يتعاون الجميع نحو هدف واحد ، كما يحدث احياناً أن يحل بعضها محل البعض ؛ مما يعجز عن مسايرة النهضة والتمشي مع مطالب الجيل لظروف خاصة .

وإذن يكون الكتاب بخير ، وعلى وئام تام مع صويحباته ، لا يمسه منها ضر ، ولا عليه منها من خطر !...

جواب الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا

أما ان الصحافة الخفيفة المصورة والسينما والاذاعة تنافس الكتاب العربي منافسة حادة غير متكافئة ، فأمر لا ريب فيه . اما ان فيها خطراً مميتاً على مستقبل الكتاب العربي ، فامر يحتاج الى بحث .

إن الناس يخلقون وسائل ترفيههم على قدر مداركهم ، فاذا منعت هذه انتشار الكتب ، فليس ذلك ذنبها بقدر ما هو ذنبنا . اذا كنا نجد من وسائل الترفيه منافسة في امورنا الفكرية بحيث يكاد الكتاب يحتضر عندنا ، فما اجدرنا بالاعتراف بالضحالة المريعة .

فالصحافة الخفيفة المصورة والسينما تجارتان تعتمدان على قاعدة العرض والطلب . وبما ان غاية كلتيهما الربح ، فانه من الطبيعي لهما ان تأخذا اقرب الطرق الى نفس المستهلك . واقرب الطرق لدينا هي إثارة الطبقة الزبدية من العاطفة — حيث تموم أسلاب الفكر وقاذورات المعرفة — باستخدام نوعين او ثلاثة من الكليشيهات « المضمونة التائج » ، ولا سيما الكليشيه السياسية والكليشيه الجنسية . التفكير : أسود وأبيض ، ولا ظلال بينهما ، تماماً على قدر عقلية المستهلك .

ومن الواضح ان الكتاب يختلف عن ذلك كل الاختلاف : فهو وسيلة من وسائل الكشف والاستغوار ، يمقت الكليشيه ، وقد لا يلقي ناكثر من نظرة عابرة على السياسة او الجنس ، او قد لا يراهما كما يراهما القارىء . فالكتاب تجربة وتحد يتركان اثراً طويلا بقدر ما تكون وسائل الترفيه استسلاماً وانصياعاً عابرين . والاول يحتاج الى عضل ذهني ، ولا تحتاج الثانية الا الى عينين .

اما الاذاعة عندنا ، فليس وراءها من التفكير على الاغلب إلا ما وراء وسائل الترفيه الاخرى ، مع فارق بسيط ، وهو ان « الكليشيه الجنسية » لا تبث في شكل صور او كلمات ، بل في موسيقى لا نهاية لها ، وما الانغام البكاءة الأنينة إلا ضرب آخر من السطو على العاطفة « وتليين » المقاومة الذهنية . وهذا ايضاً ما يريده المستهلك ، والا لما لقي هذا الرواج (خذ برنامج اية اذاعة في اية جريدة ، تجد عنوان كل اغنية واسم مغنيها او مغنيتها ، حتى اذا اتيت الى حديث ما ، وجدت : « حديث » حاف ، لا عنوان الحديث ولا اسم صاحبه . والسبب واضح .)

فاذا كان المشترون في السوق يأخذ بابصارهم ألق الزجاج ، وتشبع معدهم فتات المعرفة ، وتثير مخيلتهم صورة مارلين مونرو اكثر من الف عذراء لرافائيل ، انى للكتاب ان يروج بينهم ؟ .

ان في الغرب صحافة احسن من صحافتنا ، وسينما احسن من سينمانا ، واذاعة احسن من اذاعتنا ، ومع ذلك لم يمت الكتاب الغربي ، وما زالت الكتب تباع بعشرات الآلاف (واحياناً بالملايين) جنباً الى جنب مع وسائل الترفيه . فالكتاب يتوقف نجاحه على نجاح العلم . انه يتوقف على اقبال خريجي المدارس والكليات ، اصحاب هذا العلم . فاذا اخفق الكتاب بينهم وراجت الصحف ، فذلك دليل على انهم أطافوا الاخيرة ، ولم يطيقوا الاول . وقد

الآداب تستفتي

من المؤكد ان الصحافة الخفيفة المصورة والسينما والاذاعة تنافس الكتاب العربي منافسة حادة غير متكافئة . فهل تعتقدون ان هناك خطراً مميتاً على مستقبل الكتاب العربي ؟.

تُنسب الضحالة هنا الى مؤلفي الكتب بقدر ما تنسب الى الجمهور . وعلى كل ، فقد فطنت المجلات والاذاعة والسينما الى ذلك ، فأوهمت قراءها بانها تستطيع ان تخدم اغراضهم الثقافية ايضاً ، ما داموا يقبلون عليها . فوقع القراء والانتاج في حلقة مفرغة من الجهل : جهل احد الطرفين يغذي جهل الطرف الآخر ، وفي احشاء هذه الدوامة اختفى الكتاب المسكين .

لقد اصبحت الصحافة والاذاعة والسينما في نظر الناس تعوض عن الكتاب ، بدلاً من ان تحفز على مطالعته ، وصار لزاماً على الكاتب — للمجلة او الاذاعة او السينما — ان ينزل الى درجة من يفهمه — كما قال ابن الرومي — الكلاب والقردة ، وإلا لفه النسيان في يومين . لقد خلطنا بين التسلية وبين المعرفة ، بين العابر وبين المقيم ، بين الزائف وبين الاصيل .

انه لمن المحض ان نرى الصحافة والسينما والاذاعة — ولها كلها ان تكون من وسائل انعاش الذهن تستعمل عندنا سلاحاً مشهوراً على الذهن نفسه . والذنب ، اعود فاقول ، ذنبنا . فكلما ازداد عدد « المتعملين ؟ » (يعني : عدد من يستطيعون القراءة) تضخم عدد المنضمين الى المعسكر المقاوم لنهضة الفكر .

عندنا ولا ريب فئة ممتازة من المثقفين ، ولكنهم اذا ادركوا ما نحن عليه ، ابوا النزول الى السوق ، ولجأوا الى الكتب الاجنبية طلباً للغذاء .

ان الكتاب يحتضر عندنا يا سيدي ، لأننا ما زلنا « نعوم على شبر ماء » . ولن تنفخ الروح فيه الا عندما نجرؤ على توخي الاعماق . وحينئذ لن تكون هناك منافسة بين التسلية وبين الفكر ، بل يغذي الواحد الآخر ، ويتبادلان اسباب النجاح . ولكن الليل قبل ذاك الصبح طويل .

جواب الدكتور طه حسين

سيدي الكريم

تلقيت سؤالك عن خطر الصحافة الخفيفة والسينما والاذاعة على الكتاب العربي .

وما اشك في ان هذه الادوات الحديثة من ادوات الديمقراطية تنافس الكتاب منافسة مرهقة وتصرف عنه عدداً ضخماً من القراء فتسيء الى الكتاب كما تسيء الى القراء ايضاً .

فويل للانسان اذا اكتفى بالمعرفة اليسيرة ، وويل له اذا اقام ثقافته على هذه المعرفة التي تختلس اختلاساً والتي لا تعتمد على الاناة والروية والتدبر . ولكن هذا الخطر غير مميت . فاثر الصحافة الخفيفة والسينما والراديو في الشرق ضعيف اذا قيس الى اثرها في الغرب وقد قاوم الكتاب فاحسن المقاومة في اوروبا وامريكا وسيقاوم ويحسن المقاومة في الشرق ايضاً لأن الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الارض . وانت تعلم اين الزبد واين ما ينفع الناس .

جواب الدكتور اسحق موسى الحسيني

ليس من طبيعة المنافسة ان تميت ولكنها تؤدي الى التزاحم وشحذ الهمم . ولن يموت الكتاب العربي مهما تشتد المنافسة . وما مات قبله الكتاب الغربي والكتاب العالمي مع ان المنافسة هناك اقوى . والمتوقع أن يضاعف الكتاب جهودهم حتى يطرد نمو الكتاب . وذلك بمعالجة الموضوعات التي تمس حيوات القراء ، وبتجويد الكتاب مادة واسلوباً مع تخفيض ثمنه ، واخيراً برفع كابوس « الاقليمية » وإثارة شهوة القراءة حتى يصبح الكتاب بمقام الرغيف في دنيا العرب . وأكرم بالمنافسة التي تحقق هذه الأهداف !

جواب الاستاذ عبد الله عبد الدائم

لا شك ان من ابرز اهداف الثقافة بسطها للجمهور وجعلها في متناوله . ومثل هذه المهمة شاقة دوماً ، غير انها في بلادنا العربية اشق . إذ فيها طبقة مغرقة في الجهالة قلما نجد لها مثيلاً في بلد آخر ، وفيها بون شاسع بين اللغة العامية الدارجة ولغة الكتابة .

لذا كان تبسيط الأفكار للجمهور امراً لا يقوى عليه الا نفر قليل ممن هضموا ثقافتهم وقبضوا على ناصيتها وعاشروها في وضوح وجلاء ، ليستطيعوا نقلها في وضوح وجلاء .

والحق إن تحديث العامة عن معاني الخاصة امر لا ييسر دوماً الا للرواد الكبار في كل علم وفن : فهؤلاء الرواد الأوائل يعرفون ان يلبسوا افكارهم الواضحة في اعماقهم حلة السهولة وجودة العرض ، دون أن يهبطوا بها عن مستواها وشأوها .

ذلك ان نقل الأفكار للجمهور ينبغي ان لا يعني ابداً نقل الافكار التافهة المسفة ، وينبغي ان يكون هدفه رفع الجمهور باساليب التشويق وحسن الأداء ، الى المستوى الروحي الرفيع الذي يتوق له والذي حرم منه . وينبغي الا يتحدث تحديث الجمهور ذريعة لالقاء بقايا الموائد الفكرية والقذف بكل عديم المعنى حائل الطعم . فالجمهور تواق الى اطعمة دسمة حارة ، وما هو متشوف ابداً الى التافه الذي يعرفه حق المعرفة ، ولا يحتاج الى من يعرفه به . انه يملك التطلع الى افق عال والتحرف الى الخروج من مستواه ؛ غير انه لا يملك الوسائل التي تمكنه من بلوغ هذا الأفق . وما على الكاتب الا ان ييسر له هذه الوسائل ...

سوى ان مثل هذه الغاية ليست هي التي يجربها كتابنا غالباً عندما يكتبون في المجلات الخفيفة ، او يتحدثون في المذياع ، او ينطقون عن طريق السينما ... فهم إذ يعجزون في اكثر الاحيان عن نقل المعاني القوية والأحاسيس الحادة الى نفوس الشعب يكتفون بالتافه العادي ، بل ينحرفون الى المشوه المعوج . ومثل هذا الموقف من شأنه ان يعرض الثقافة لخطرين :

الاول ابعاد الشعب عن الثقافة الحقيقية ، مع قتل تطلعه اليها : إذ يتوهم انه يحصل على ضالته في هذه الاشياء الخفيفة التي تكتب اليه ، فينطفىء تعشقه للثقافة حين لا تغذيه ولا ترويه ، بل يحجم عن متابعة الثقافة الجدية بعد ان اعتاد هذه الثقافة المريحة وفسد ذوقه عن طريقها . وليس اخطر على الثقافة من ان تعرض عرضاً تافهاً مبتذلاً يتلقفه الجمهور ، فيتكون فكره على غراره حتى يغدو له قاعدة ومعياراً ... وليس اخطر على الافكار من ان تشيع خاطئة منحرفة عن معناها الاصلي ، فتنغرس في نفوس الشعب مشوهة ، ويصعب تقويمها فيما بعد ...

والخطر الثاني صرف جهود كبيرة في اخراج هذا النوع الخفيف من النتاج ، بحيث ينصرف الكتاب عن الاهتمام بالنتاج العميق وبالابحاث الدقيقة العالية . وبدون الجهد الدائم والصبر الطويل لا يمكن ان يرجى للكتاب نجاح وتقدم . فالعمل الفكري نوع من التربية الذاتية الطويلة ، لا بد فيها من مصارعة الأبحاث الجدية والتمرس بالافكار العلمية الشاقة ... وثقافة الامة حملة دائبة صبورة على عالم متزايد في صعوبته ومستواه ...

جواب الاستاذ وديع فلسطين

لم تعرف مصر فترة نشط فيها المؤلفون ونشط فيها القراء مثل فترة الحرب العالمية الماضية . فقد كانت الصحف جميعاً تصدر في صفحات محددة بادية التقشف بسبب ندرة الورق ، وكان الاظلام المبكر يحتم على الناس ان تركن الى دورها مع احتجاب الشمس ، فلم تعد للناس سلوى الا ان تقرأ الكتاب

النقد العربي ورسالته

ننشر فيما يلي جواب الآنسة روز غريب على استفتاء « الآداب » الماضي ، وقد تأخر وصول هذا الجواب ، وكان السؤال : « لا شك ان النقد العربي قد اسهم بقوة وخصب في انهاض الادب العربي ، فهل ادى النقد العربي مثل هذه الرسالة في تقويم ادبنا المعاصر وتوجيهه ؟ »

ان الموضوع اوسع من ان يستوعبه هذا الجواب الموجز لانه يقتضي اطلاعاً على كل ما نشر وينشر من مؤلفات ومقالات نقدية. وهذا ما لم يتيسر لي الوصول اليه . فتأخري في الجواب دليل تردد ، وجوابي لا يعدو ان يكون تقديرياً إجمالياً .

يلوح لي ان النقد عندنا ثلاثة اصناف :

اولا النقد المدرسي الذي توجه كثرته المطلقة الى طلاب المدارس والمعاهد العليا ، ويتناول عصور الادب الماضية ، وادب الماضين ، لا سيما ادباء المناهج المدرسية. دشن عهده زيدان ونسج الباقون على منواله وتوسعوا فيه محتذين اساليب الغرب في التحقيق والتبويب حتى جاءوا بروائع الكتب في هذا الباب ، مفردة ومتسلسلة ، وحتى يجوز القول ان نقادنا ادوا رسالتهم في مواضيع الادب الجاهلي وابن المقفع والجاحظ والمتنبي وابن الرومي .

ثانياً النقد الصحفي . وهو النقد الموجز السطحي الذي يتناول الآثار الحديثة والمعاصرة فيكتفي بالمدح والتقريظ ، أو يقتصر على الطعن والتحقير ، ضارباً باصول النقد عرض الحائط . والامثلة على هذا النوع المغرض كثيرة في الصحف والمجلات العصرية . وهو صنف من صنوف الاعلان ، والتعريف بالاشخاص والاحزاب ، ولون من الوان الدعاية التي يكاد يغرقنا سيلها. وقد يكون ضرره اشد من نفعه ، لانه اذا لم يحط عن المؤلف وتأليفه صورة خاطئة شوهاء فانه يعطي بلا شك صورة ناقصة مبتورة .

الثالث النقد التوجيهي الذي ينقد الاثر الادبي نقداً موضوعياً مجرداً من الاهواء الذاتية . يمعن في التدقيق ويحذر من اطلاق الحكم ويجيد الموازنة بين المحاسن والعيوب ، غايته في ذلك ارهاف حس القارىء وتحقيق الصلة بينه وبين الاديب ثم حفز همة الثاني وارشاده الى مواطن القوة والضعف في تأليفه رغبة في دفعه الى التجويد والاتقان .

مثل هذا النقد قليل عندنا لأسباب لاسبيل الى تفصيلها . منها انه يحتاج الى جهود شخصية لأن صاحبه غالباً ما يكون رائداً في موضوعه ، مفتقراً الى من يشق له الطريق ، بخلاف الباحث في الادب القديم . ومنها انه مرغم على التحفظ الشديد خوفاً من اغضاب الشخص المقصود بالنقد او التعرض لحملة يشنها عليه انصاره ومريدوه .

اذا كان النقد عاملاً هاماً في توجيه الاديب ، فلا ريب ان التأثير بينهما متبادل وان النشاط الادبي سبب لنشاط النقد وازدهاره . ولا بد لتعزيز الحركة النقدية من دعم الادب نفسه والسعي لخلق طبقة من الادباء المنقطعين الى الادب . وتلك مهمة لا يستطيع الاضطلاع بها افراد او حزب خاص ، بل لا بد من تضافر الجهود في سبيلها على نطاق واسع .

ان نظرة عابرة في ادبنا المعاصر ترينا ان اثر النقد فيه ضعيف قليل الوضوح ، بدليل اننا نشهد حركة انتعاش في الأدب المنمق الذي يبرز فيه اللفظ الفخم الرنان وينكمش المعنى حتى يكاد يضمحل . وهي ظاهرة خطرة تذكرنا بادب القرن الرابع الهجري الذي طغى عليه السجع ، حين لم يكن لاصحابه ما يقولون . ويقف النقد « التوجيهي » من هذه الظاهرة موقف اللامبالاة او موقف التحبيذ والاستحسان.

روز غريب

العربي ، ولا سيما وقد تقطعت وسائل المواصلات وتعذر الظفر بالكتب والمجلات الاجنبية .

فلما انجابت غمامة الحرب ، وتضخمت الصحف المصورة وتحسنت وسائل طباعتها ، ورفع الاظلام العام ، نفض الناس ايديهم من المطالعة ، واخذوا يرتادون دور اللهو من سينما وانديةٍ وما اليها ، وانصرفوا عن قراءة الكتاب العربي. أما الذين يقرأون ليتثقفوا، فقد تاقوا الى الكتاب الغربي،الانجليزي والفرنسي والامريكي والالماني ، الذي حرموا منه سنوات الحرب الطوال فعكفوا على قراءته ، وعزفوا عن الكتاب العربي .

وللصحافة والسينما والاذاعة ثلاث رسائل تؤديها هي : التثقيف والتوجيه والترفيه . ولكن يلوح ان اقبال الناس بعواطفها على الرسالة الثالثة بعد سني التقشف زمن (الحرب) جعل المشرفين على هذه الوسائل الثلاث يسرفون في الترفيه ويغفلون جانبي التثقيف والتوجيه او يقللون من شأنهما . فانتعشت الصحف الخفيفة المصورة ، وزاد تنافس محطات الاذاعة على تقديم الون الترفيه للمستمعين باسم الفن ، واخذت صناعة السينما تخوض سباقاً لتقديم الافلام المسلية الى النظارة ولا سيما افلام الاستعراض التي لا تدور حول قصة معينة .

وكان من نتيجة هذا الاتجاه ، الذي قوي عقب الحرب ، ان تأثر الكتاب العربي تأثراً شديداً فاحتجبت سلاسل الكتب النفيسة التي كانت تصدرها « لجنة النشر للجامعيين » و « جمعية الفلسفة المصرية » وكتب «اعلام الاسلام » . واضطرت المجلات الادبية الى ايصاد ابوابها واحدة في اثر الاخرى . وهذه حالة نأسى لها اشد الاسى ، ولا سيما لان الناس ، في ما خلا قلة قليلة ، لم تستشعر خسارة بفقد المجلات الجادة واحتجاب الكتاب الذي ينشد التثقيف والتوجيه . وساءت الحال حين لم تبد الحكومات اي محاولة لتشجيع اسباب الثقافه ، وحين نكصت الجامعات ، على كثرة عددها بالنسبة لما كانت عليه قبل عشرين عاماً ، فلم تستنهض همم طلابها وخريجيها ليحفلوا بالكتاب الادبي والمجلة الهادفة الى رسالة فكرية .

وفي اعتقادي ان انتفاء عنصر الأسى على هذه الحال الاسيفة ، إنما يوحي بان هناك شيئاً من الرضا بهذه الحال. واذا كنا راضين بهذا المآل ، فسنظل على هذا الرضا في الايام المقبلة مما يورث الكتاب العربي مستقبلاً مظلما .

والناس امام المحن نوعان ، نوع تستفزه المحنة فتنهضه ، وتستثيره الكارثة فيستيقظ اشد عزماً مما كان ، فيكتب لنفسه صحيفة مجد جديدة . ونوع تورثه المحنة قنوطاً فيستسلم لها قانعاً بما اصابه ، مضيع الامل في المستقبل بعيده وقريبه .

والذي يبدو الآن ان عنصر السطحية الذي فشا بفشو الصحافة الخفيفة المصورة والسينما المسلية المرفهة والاذاعة المطربة المشجية ، قد صار مألوفاً بين الناس مقبولا من القراء والكتاب . اما الدراسات العميقة والبحوث التي تتطلب المجالدة والمصابرة والاعمال الادبية التي يتصدى لها رجال التخصص والتأصل ، فستقبلها ، ويالاسف ، مظلم قاتم ، لاننا آثرنا امام المحنة ان نستسلم ونخنع بدلاً من ان تشحذ القوى لنخطو خطوات اقرب الى الوثب منها إلى السير الوئيد .